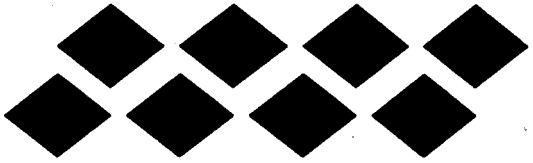

مجلة كلية الآداب (دورية أكاديمية علمية محكمة)

محنة القضاء في عهد المعتصم بالله العباسي
(٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢م)

د .صلاح سليم طايع
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي

أبحاث

محنة القضاء في عهد المعتصم بالله العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م)

د/ صلاح سليم طايع

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.

فإن الله تعالى حكم بإقامة الحق بين العباد، وجعل الحكم بينهم أرفع الأشياء، وأجلها خطراً، واستخلف الخلفاء في الأرض، ليقيموا حكمه ، وينصفوا عباده، ويقوموا بأمره، والقضاء من عمل الرسل عليهم الصلاة والسلام، يدل على ذلك قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)[1]، وقوله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)،[2] ورسول الإسلام محمد ﷺ صاحب الرسالة الخاتمة والدائمة كما كان مأموراً بالدعوة والتبليغ كان مأموراً أيضاً بالحكم والفصل في الخصومات، وقد ورد في القرآن الكريم في العديد من الآيات ما يشير إلى ذلك، منها قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)[3] وقوله عز وجل (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين)[4] وقوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[5]، وأما السنة المطهرة فتدلل على مشروعية القضاء أحاديث كثيرة منها ما رواه عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم

---

[1] سورة الأنبياء، الآيتان ٧٨، ٧٩.
[2] سورة ص، الآية ٢٦.
[3] سورة المائدة، الآية ٤٩.
[4] سورة المائدة، الآية ٤٢.
[5] سورة النساء، الآية ٦٥.

أخطأ فله أجر)[1] وقوله ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على مشروعية القضاء فقال ابن قدامة (وأجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس).

والقضاء في تعريفه تعريفاً شاملاً ومبسطا هو: الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة.

هذا و سار القاضي في عهد المعتصم على المنهاج الإسلامي، فحرص على غرس القيم الإسلامية والصفات الحميدة في كيان المجتمع العباسي.

وذكرت في هذا البحث نبذة مختصرة عن المعتصم بالله العباسي، ثم أسباب محنة القضاء في عهده، وأيضاً أهم الشروط التي ينبغي توافرها للمتولي خطة القضاء واختصاصاته، وطريقة تعيين القاضي.

كما أشرت إلى أعوان القاضي وإلى الإجراءات القضائية، ونماذج لأهم القضايا والأحكام في عهده، وكيف كان القضاء في محنة، وذيلت بحثي بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وعلى الله قصد السبيل.

---

[1] متفق عليه : رواه البخاري ومُسلم عن عمرو وأبي هريرة.

محنة القضاء في عهد المعتصم بالله العباسي
(٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢م)

تمهيـــد:

القضاء في الإسلام وشخصية المعتصم:

وأما القضاء في الدولة الإسلامية فهو من الأمور الخاصة بالخلافة[١]، و لما كان الخليفة لا يمكنه مباشرة كل أمور القضاء بنفسه، ولاسيما بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م)، نجده يفوض القضاء إلى غيره، كما كان يفوّض إلى الولاة حُكم الولايات المفتوحة[٢].

لم يكن القاضي ليرضى بأن يتدخل في أحكامه أحد؛ إذ كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التي تحاط بالهيبة والجلال، كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذي يؤديه[٣].

تطور النظام القضائي في العصر العباسي الأول تطوراً كبيراً؛ لأن روح الاجتهاد الشخصي في الأحكام قد ضعفت بسبب ظهور المذاهب الأربعة[٤]؛ فأصبح القاضي يصدر أحكامه وفق أحد هذه المذاهب؛ فكان القاضي في العراق يحكم وفق مذهب الإمام أبى

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القاهرة (د ت)، ص١٨٢-١٨٣؛ سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص٩٩.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح روفن جست Rhuvin Guest، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م، ص٣٠٠-٣١٠.

(٣) سيدة إسماعيل الكاشف: المرجع نفسه، ص١٠٢.

(٤) المذاهب الأربعة: مقترنة بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة وهي: المذهب الحنفي نسبة إلى الإمام أبى حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)، والمذهب المالكي نسبة إلى مالك بن أنس الإصبحي (ت١٧٩هـ / ٧٩٥م)، والمذهب الشافعي نسبة إلى الإمام محنمد ابن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ / ٨١٩م) بمصر، والمذهب الحنبلي نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ / ٨٥٥م). الشيرازي: طبقات الفقهاء، بغداد، المكتبة العربية، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، ص٥٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق نوحي عبدالحميد، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١، ص١٤٩؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي،دار الهلال، القاهرة ١٩٥٨م، ج٣، ص٧٩؛ سيدة إسماعيل الكاشف: المرجع نفسه، ص٣٢٢.

حنيفة، وفى الشام والمغرب وفق مذهب الإمام مالك، وفى مصر وفق المذاهب الأربعة [١].

كان تعيين القضاة من الأمور الخاصة بالخلافة، وكان بعض القضاة يعينهم الولاة بتفويض من الخليفة[٢] لواليه، إذ كان الخليفة نفسه هو رئيس القاضي المباشر[٣].

يقول اليعقوبي: "لم يكن في بني العباس من قبله -أي قبل المعتصم- أشجع منه، ولا أتمّ تيقظاً في الحرب ولا أشد قوة، وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقاً، ويشد على الدينار بإصبعه فيمحو كتابته"[٤]. وفى موضع آخر من نفس الكتاب يقول: "وكان الذي غلب على المعتصم الفروسية والتشبه بالعجم؛ فلبس الثياب الضيقة الأكمام، فضيق الناس أكمام ثيابهم، ولبس الخفاف الكبار، والشاش[٥] المربعة وكان أول من لبس شاشية مربعة؛ فلبسها الناس تشبهاً به ونسبت إليه، فقيل: الشاشية المعتصمية"[٦]، على الرغم من مبالغة المؤرخين في التأكيد على قوة المعتصم فإن ذلك كله يؤكد ويبين مدى شدته وقوته.

---

[١] المقريزى: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، القاهرة ١٢٧٠هـ، ج٢، ص٣٣٣-٣٣٤.

[٢] كان الخليفة العباسي حتى نهاية عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٦-٩٤٥م) يتمتع ببعض النفوذ والامتيازات وكذلك الحقوق منذ قيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ/٧٥١م، ومن الواضح أن تلك الامتيازات كانت رمزا لسيادة الخلفاء العباسين السياسية والدينية وهى تشمل حق الخليفة العباسي في تعيين وزير يعاونه في إدارة شئون الدولة، وإقامة الخطبة له في المساجد، ونقش اسمه على السكّة، وضرب الطبول أمام داره في أوقات الصلوات الخمس، والاحتفاظ بضياعه السلطانية، كما كان من حقه تعيين الأمراء والقضاة، وأصحاب الحسبة، ونقباء الأشراف، وأمراء خطباء المساجد، ومنح الألقاب. فاضل الخالدى: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، دار الأديب، بغداد، ١٩٦٩م، ص٩-١٠.

[٣] سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في فجر الإسلام ، ص ٩٩- ١٠٠.

[٤] اليعقوبى: مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر؛ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، نشر عالم الكتب، القاهرة، (بدون تاريخ)، ج٢، ص ٤٢.

[٥] الشاش: نسيج رقيق من القطن تضمد به الجروح وغيرها،ويستعمل أيضا لفافة للعمامة. لفظ مولد المعجم الوسيط،ج١، ص ٥٠٢.

[٦] اليعقوبى: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

ويضيف الطبري "حسن العينين"[1] وكان يقال له المثمّن لأنه الثامن من ولد العباس عم رسول ﷺ، والثامن من خلفاء بنى العباس، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر، وولد في سنة مائة وثمانين بعد الهجرة، وفتح ثمانية فتوح، وقتل أعداء منهم بابك[2] وياطيش[3] ومازيار[4] والأفشين[5] وعجيف[6] وقائد الرافضة[7]، وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار ومن الدراهم مثلها، ومن الخيل ثمانية ألف فرس، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات، وفارق

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٩، ص١١٩.

[2] حركة بابك الخرمي (٢٠١-٢٢٢هـ/٨١٦-٣٣٦م): أخطر حركة دينية وسياسية، عرفتها بلاد فارس منذ قيام الدولة العباسية؛ وتميزت باتساعها وتنظيم دعايتها وخططها المنظمة وبراعة قيادتها، واتصالها بغير الفرس اتصالاً واسعاً. محمد الخضري: تاريخ الدولة العباسية، المكتبة التوفيقية، ص٢٧٨.

[3] ياطيش وياطيش:أحد قادة الروم في عمورية،وقبض عليه بعد استسلام المدينة وقتله المعتصم. الطبري: المصدر نفسه والجزء،ص ٦٨

[4] هو مازيار بن قارن بن ونداد هرمز،صاحب الجبال، أظهر الخلاف على المعتصم سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨م،وقاتل جنود المعتصم. وبعد حروب ومعارك عديدة تمكن المعتصم من الظفر به في سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م؛ فحمل إلى سامراء وضُرب أربعمائة وخمسين سوطاً وطلب ماءَ للشرب فمات من ساعته، وصُلِب (أي علق) إلى جوار بابك.ابن الأثير: الكامل في التاريخ،راجعه وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق،الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٦، ص٥٠-٥١، ٦٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص٧٨، ١١١.

[5] الأفشين: لقب ملك أسروشنة، كما أن الأخشيد لقب ملك الصفد وخاقان ملك الظغزغز وكسرى ملك فارس والنجاشي ملك الحبشة وتبع ملك اليمن. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمه إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨١م، ص٣٢٣.

[6] عجيف بن عنبسة: قائد عربي من مصر، خدم الدولة العباسية زمن المأمون والمعتصم، اشترك في حروب عديدة، إلى أن قتل بعد أن دبر مع العباس بن المأمون مؤامرة بالإطاحة المعتصم. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٥١، ٤٨١، ٤٩٨.

[7] الرافضة: طائفة من الجنود تركوا قائدهم وانصرفوا،والمقصود هنا العباس بن المأمون، المعجم الوسيط، ج١، ص٣٦١.

الدنيا لثمان بقين من ربيع الأول وولد في شعبان وهو الشهر الثامن[١].

كان المعتصم كما ذكر المسعودى: "أصهب[٢] أبيض، حسن الجسم، جميل الوجه، مربوعاً[٣]، مشرباً بحمرة، عريض الصدر، شديد البطن طويل اللحية لم يشب[٤]".

ذكر السيوطي أيضاً "أن المعتصم كان ذا شجاعة وقوة وهمة، وله محاسن وكلمات فصيحة، وشعر لا بأس به غير أنه لا يبالى من قتل[*]"[٥]. وفى موضع آخر يقول: "وكان يتشبه بملوك العجم ويمشى مشيتهم"[٦].

وكانت أم المعتصم تركية الأصل، أم ولد[٧]، اسمها ماردة بنت شبيب من

---

[١] ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٤م، ج٤،ص٤٨؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ياسر صلاح عزب، نشر مكتبة التوفيقية، القاهرة، (بدون تاريخ)، ص ٢٩١.

[٢] الأصهب: ذو اللون الأصفر الضارب إلى شئ من الحمرة والبياض. المعجم الوسيط، نشر مجمع اللغة العربية، مطبعة شركة مساهمة مصرية، القاهرة١٩٦١م، (ص هـ ب)، ج١، ص ٥٢٨.

[٣] المربوع: الوسيط القامة. المعجم الوسيط، (ر ب ع)،ج١، ص ٣٢٥.

[٤] لم يشب: من شاب شيباً أي أبيض شعره، لم يبيض شعره. المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٠٤.

[*] أي لا يهتم بمن قتله ولا يخشى عاقبة ذلك.

[٥] السيوطى: المصدر نفسه، ص ٢٩١.

[٦] المصدر نفسه، ص٢٩٢.

[٧] أم ولد: مصطلح فقهي يرد في باب "الرق" ويجعله البعض في باب "النكاح" ذكر هذا المصطلح ابن حزم الأندلسي في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" (تحقيق أحمد شاكر، القاهرة ١٣٤٥هـ) أن ابن عباس قال: "لا تعتق أم ولد حتى يلفظ سيدها بعتقها". وأيضا سئل عمر بن الخطاب عن أم ولد فقال: "تعتق من نصيب ولدها" ونهاهم عمر عن بيعهن، وكذلك صاحب كتاب "مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج" شرح الشيخ محمد الشربينى الخطيب على متن المنهاج لأبى زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦القرن ٧ هـ) ما يلي "والأولى يجئ في باب النكاح، وهو إن قصد به مجرد الاستمتاع فلا يكون قربة، أو حصول ولد ونحوه فيكون كربة، واستشهد ببيت للمأمون عندما عيره أخوه الأمين بأنه ابن "أم ولد" فقال وإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء" (ص ٥٣٨-٥٤٤) من كتابات أمهات الأولاد، ج٤، القاهرة، (١٣٧٧هـ / ١٩٥٨) وعلى ذلك فالأمَة التي يعاشرها سيدها فتحمل منه، عندما تنجب ولداً تصبح "أم ولد" وتحرر وابنها حر". ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص٥١٩.

مولدات الكوفة، وكانت أمها صغدية[1]، ونشأ أبوها بالبندنيجين[2]، وذلك بإجماع آراء المؤرخين. وذكر الطبري: "وكان للرشيد من ماردة مع أبى اسحق (المعتصم) أبو إسماعيل، وأم حبيب وآخران لم يعرف اسمهما"[3]، ويقول ابن الأثير أنه ولد في سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م[4]. وقال السيوطي "إن ماردة كانت أحظى النساء عند الرشيد، وماتت قبل توليه الخلافة[5]. ولا شك أن أم المعتصم كان لها تأثير على أبنها وقد لعبت دوراً بارزاً في حياته، ولعل المعتصم استكثر من الأتراك أخواله تقديراً لأمه ووفاءً لها، وأن عصبيته كانت للأتراك قبل توليه الحكم ولعله فقد الثقة في العرب والفرس معاً لما لاحظه قبل توليه الخلافة من أحداث، واحتجم[6] المعتصم في أول يوم من المحرم (سنة٢٢٧هـ /٨٤٢ م) فأصيب عقب ذلك بعلته التي قضت عليه يوم الخميس لثماني ليال مضت من شهر ربيع الأول من تلك السنة[7]، ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات فقال:

قد قلت إذ غيبوك واصطفقت * عليك أيد بالتراب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت * على الدنيا ونعم الظهير للدين
لا جبر الله أمة فقدت * مثلك إلا بمثل هارون[8]

أولاً: القضاء في عهد المعتصم بالله العباسي:

تتحدد معالم النظام القضائي في عصور الدولة الإسلامية ومن بينها في العصر العباسي الخليفة المعتصم بالله العباسي من خلال قواعد ومعالم ثابتة التزم بها أولى الأمر في الدولة العباسية ، وهى أمور لا بد من التعرف عليها وهى:-

شروط تولى القضاء:

وردت في كتب الفقه شروط معينة وآداب محددة لتولى خطة القضاء، يجب أن

---

(١) الصغد: ناحية بين بخاري وسمرقند، قصبتها سمرقند. ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ)، مج٣، ج٥، ص١٩٠.
(٢) البندنيجين: بلدة مشهورة في العراق في طرف النهراون من ناحية الجبل. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص٣٩٣.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص ١٣٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥.
(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٩١.
(٦) الحجامة: هي امتصاص الدم بالمحجم. محمد الخضري: تاريخ الدولة العباسية، ص٢٩٢.
(٧) السيوطي: المصدر نفسه، ص٣٥٩؛ محمد الخضري: المرجع نفسه والصفحة.
(٨) محمد الخضري: المرجع نفسه، ص٢٩٢.

يلتزم بها ولاة الأمر عند اختيار القضاة نستطيع أن نتلمسها في كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردى وهى أن يكون القاضي رجلاً، عاقلاً، حراً، مسلماً، عدلاً، سليم السمع والبصر وأن يكون ملماً بكافة الأحكام الشرعية أصولها وفروعها و معرفته بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وتأويل السلف والقياس[١]، يضاف إلى ذلك العلم والورع والنزاهة والعفة والحلم[٢].

تعيين القضاة وعزلهم:

كان تعيين القاضي للفصل بين الناس فيما ينشب بينهم من خلاف فريضة أمرت به الشريعة الإسلامية[٣].

ويحدثنا الماوردي[٤] عن الطريقة التي تنعقد بها ولاية القضاء بقوله: "وولاية القضاء تنعقد به الولايات مع الحضور باللفظ مشافهة ومع الغيبة مراسلة ومكاتبة لكن لا يدفع المكاتبة من أن يقترن بها من شواهد الحال ما يدل عليها عند المولى وأهل عمله والألفاظ التي تنعقد بها الولاية ضربان صريح وكتابة فالصريح أربعة ألفاظ قد قلدتك ووليتك واستخلفتك واستنبتك..فأما الكتابة... سبعة ألفاظ قد اعتمدت عليك وعولت عليك ورددت إليك وجعلت إليك وفوضت إليك وأسندت إليك....".

انتهاء ولاية القاضي وأسبابها:

هناك طرق عديدة يفقد بها القاضي ولايته للقضاء ويخرج منها ، وأهم هذه الطرق:

١- عزل القاضي من قبل الإمام أو نائبه إذا وجد الإمام أفضل منه أو ظهر عجزه وعدم كفاءته، أو أقر بأنه حكم بجور متعمدا أو ثبت عليه ذلك بالبينة . فقد عزل عمر بن الخطاب ﷺ شرحبيل بن حسنة عن القضاء فقال له شرحبيل :أعن سخطة عزلتني

---

[١] الماوردى: الأحكام السلطانية، والولايات الدنية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٥٣-٥٤؛ مصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧٤-٧٦.

[٢] المالقى: تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣، ص٢؛ وللمزيد راجع وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ١٩٩٧، ج٨، ص٥٩٣٦ – ٥٩٤٠.

[٣] عطية مصطفى مشرفة: القضاء في الإسلام، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٣٩م، ج١، ص ١٦٥.

[٤] الماوردى: المصدر نفسه، ص ٥٦-٥٧.

قال: لا ولكن وجدت من هو مثلك في الصلاح وأقوى منك في العمل . فقال: يا أمير المؤمنين إن عزلك عيب فأخبر الناس بعذري ففعل عمر ذلك.

٢- فسق القاضي: إذا ارتكب القاضي بعض الأفعال المفسقة كشرب الخمر أو غيره من الكبائر فإنه ينعزل لحظة فسقه ولا تعتبر أحكامه بعد تلك اللحظة. قال ابن قدامه: (فأما إن تغيرت حال القاضي بفسق أو زوال عقل أو مرض يمنعه من القضاء أو اختل فيه بعض شروطه فإنه يعزل بذلك ويتعين على الإمام عزله وجهاً واحداً).

٣- الردة: لأن الإسلام شرط في صحة ولاية القاضي، وشرط في استمرارها، وعلى هذا فلوا ارتد قاض عن الإسلام فإن ولايته للقضاء باطلة من تلك اللحظة التي ارتد فيها.

٤- الجنون والسفه: وبعبارة أدق فقدان أهلية التكليف فإذا فقد القاضي هذه الأهلية لم يعد صالحا للقضاء وبالتالي فإنه ينعزل.

٥- فقدان السمع أو البصر أو النطق: فقد ذهب الجمهور إلى أن القاضي إذا أصيب بالصمم أو العمى أو الخرس فإنه يخرج من ولاية القضاء.

٦- المرض المعجز: فإذا أصيب القاضي بمرض أقعده عن الحركة والنهوض وأعجزه عن القيام بعمله، ولم يرج شفاؤه فإنه ينعزل.

٧- انتهاء مدة ولايته واختصاصه: فإذا عين الإمام رجلا على القضاء مدة سنة فإن ولايته للقضاء تنتهي بانتهاء السنة ، وكذلك إذا كلفه الإمام بالنظر في قضية أو مجموعة قضايا محدودة فإنه بمجرد الفراغ من النظر في تلك القضايا تكون قد انتهت ولايته .

٨- استقالة القاضي من القضاء: إذا استقال القاضي من وظيفته وقبل الإمام استقالته، فإنه تنتهي ولايته.

٩- الموت: لأنه مبطل لأهلية التصرف وبالتالي تنتهي ولاية القاضي بمجرد موته[1].

اختصاصات القاضي:

تحدد كتب الفقه والنظم الإسلامية المهام المسندة إلى القاضي بعشرة أمور إذ كانت ولايته عامة وله حرية التصرف وهى:

١- فصل المنازعات وقطع التشاجر والخصومات.

٢- استيفاء الحقوق.

---

[1] الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص ٥٧ - ٦٠؛ عطية مشرفة : القضاء في الإسلام، ج١، ص ١٦٥.

٣- ثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف.
٤- النظر في الأوقات بحفظ أصولها[١].
٥- تنفيذ الوصايا على شروط الموصى.
٦- إقامة الحدود على مستحقيها.
٧- تزويج اليتامى بالأكفاء إذ عد من الأولياء.
٨- النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأفنية.
٩- تصفيح شهوده وافنانه واختيار التأبين عنه[٢].
١٠- التسوية في الحكم بين القوى والضعيف[٣].

أعوان القاضي:

اعتمد القاضي على مجموعة من الأعوان والموظفين في أداء واجباته لمساعدته في إنجاز القضايا المعروضة عليه، وكان القاضي يدقق في اختيار أعوانه حتى يتسنى له القيام بهذه المهمة على أكمل وجه .

وكانت هيئة المحكمة تتشكل من الآتي:

١- كاتب القاضي: كان القاضي يختار كاتبه ممن له معرفة بمدلولات الألفاظ اللغوية والعرفية وحسن الفطنة[٤].
٢- حاجب القاضي: يختص برفع الأمور إلى القاضي.
٣-نقيب القاضي: وكانت وظيفته تنبيه القاضي على الشهود وتنبيه الشهود على القاضي.
٤- أمناء القاضي: يقومون بالتحفظ على أموال الأيتام والغائبين[٥] وجعل سحنون الودائع عند الأمناء وكانت قبل ذلك في بيوت القضاة[٦].
٥- وكلاء دار القاضي: يؤدون دور المحامين في الوقت الحاضر[٧].

---

(١) وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته ،ج ٨ ص٥٩٤٣.
(٢) فحص الشهود وإبعادهم عند اقتضاء الأمر.
(٣) الماوردى: الأحكام السلطانية، ص٥٨-٥٩.
(٤) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٦٠-٦١.
(٥) عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الرباط (بدون تاريخ)، ج٤، ص٦٠.
(٦) السبكى: المصدر نفسه، ص٦٢.
(٧) السبكى: المصدر نفسه والصفحة.

٦- الشهود: وهم الذين يحضرون مع الخصوم للإدلاء بشهادتهم في الواقعة محل الخلاف[١].

٧- مجلس القضاء والإجراءات القضائية:

قاضي القضاة :

أحدثت وظيفة قاضي القضاة في الدولة العباسية ، وكان مسئولاً عن كافة القضاء في الدولة، وكان قاضي القضاة يُختار من قبل الخلفاء العباسيين، ومن بين المشهود لهم بالخوف من الله وصدقهم ونزاهتهم وعلمهم الواسع بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والفقه الإسلامي .

كان قاضي القضاة يقيم في حاضرة الدولة، ويُولّى من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار. وأول من تلقب بلقب "قاضي القضاة" في الدولة العباسية هو أبو يوسف صاحب للإمام أبي حنيفة النعمان صاحب كتاب الخراج في عهد الرشيد[٢] وشغل هذا المنصب في عهد المأمون يحيى بن أكثم[٣]، وفي عهد المعتصم أحمد بن أبي دؤاد. يقول اليعقوبي: "وكان الغالب على المعتصم أحمد بن دؤاد الأيادي قاضي القضاة"[٤].

اتسعت سلطة القاضي في العصر العباسي الأول مع اتساع دائرة القضاء. وتنوعت اختصاصاته، وتعددت قضاياه، بعد أن كان عمله مقصوراً على الفصل بين الخصوم. فبات والحالة هذه لكل ولاية من ولايات الدولة العباسية قضاة يمثلون المذاهب الأربعة ، ينظر كل منهم فيما ينشأ من منازعات بين من يدفعون بعقائد مذهبهم[٥].

---

(١) ابن فرحون: الديباج المذهب في أعيان المذهب، القاهرة، ١٣٢٣م، ص ١٦٤.

(٢) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي ، السياسي والحضاري ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢٢٩.

(٣) يحيى بن أكثم (١٥٩-٢٤٢هـ / ٧٧٥-٨٥٧م)؛ هو أبو محمد يحيى بن أكثم بن قطن التميمي الأسيدي المرزي، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م، ثم قضاء القضاء ببغداد، وأضاف إليه مملكته؛ فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شئ إلا بعد عرضه عليه. توفي في الربذة من قرى المدينة سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦م في زمن المتوكل. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٦، ص ١٤٧- ١٥٥؛خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" – ثمانية أجزاء، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، مج٨، ص٣١٨.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٧٨.

(٥) إبراهيم أيوب: المرجع نفسه، ص٢٢٩-٢٣٠.

وفيما يختص بطريقة التقاضي فكان الخصوم يدونون مشاكلهم -قضاياهم- على الشفاف فيها قصصهم مكتوب[١] أما توقيع العقوبة فكان يتم بواسطة القاضي؛ فقد كان يضرب بالدرة وما خف من الأدب احتراما لقدسية المسجد وعند إقامة الحدود على المتخاصمين يخرجهم من المسجد وفي أغلب الأحيان كان يؤدب بلطم القفا[٢] وكان يضرب الخصوم إذا أذى بعضهم بعضا بكلام أو تعرضوا للشهود بعيب أو تجريح.

شغل منصب قاضي القضاء في عهد المعتصم أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الأيادي (١٦٠-٢٤٠هـ / ٧٧٧-٨٥٤م) أحد القضاة المشهورين؛ وكان من المعتزلة، وهو الذي أشعل فتنة القول بخلق القرآن؛ حتى إن المأمون أوصى أخاه المعتصم وهو يحتضر بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد بالآتي: "يا أبا إسحق. أذن مني واتعظ بما ترى، وخذ بسيرة أخيك في القرآن والإسلام"[٣].

يذكر ابن طيفور "أن أبا دؤاد الأيادي ، قدم ومعه ابن أحمد، وهو حدث من قنسرين[٤] إلى دمشق؛ فنشأ فيها ونبغ، ومنها رحل إلى العراق، وكان عارفاً بالأخبار والأنساب.

وفيه يقول المأمون: إذا استجلس الناس فاضلاً مثل أحمد، وكان يقال "أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة ، ثم ابن أبي دؤاد" اتصل أولاً بالمأمون، ثم المعتصم، وكان من المعتصم كيحيى بن أكثم من المأمون، وجعله قاضي قضاته، وكان يستشيره في أمور الدولة كلها، وكان له في حياة المعتصم مركز لا يدانيه فيه أحد"[٥].

يقول اليعقوبي عنه "وكان الغالب على المعتصم أحمد بن أبي دؤاد الأيادي قاضي القضاة والفضل ابن مروان الكاتب"[٦] كذلك ذكره ابن خلكان: اشتهر في عهد

---

(١) عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ج٣، ص٦٩؛ السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس، ١٩٧٠م، ق٤، ج١، ص٦٧٤.

(٢) المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقيا، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م ج١،ص١٤٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٦، ص٧.

(٤) قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهود حمص قرب العواصم، والبعض يدخل قنسرين في العواصم، خربها الروم في سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٤م وينسب إليها جماعة من العلماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص٤٠٤.

(٥) ابن طيفور: تاريخ بغداد، الطبعة الخامسة كيلر Keller، ليبزج، ١٩٠٨م، ج٦، ص١٤٠-١٥٦.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج٢، ص٤٧٨.

المعتصم أحمد بن أبى دؤاد الأيادي، واختص به حتى كان لا يفعل فعلا باطناً ولا ظاهراً إلا برأيه"[1] وقال ابن خلكان أيضاً "كان أحمد بن أبى دؤاد من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال، وكان فصيحاً بليغاً".

ويرى أحد المؤرخين: "كان قاضى القضاة أحمد بن أبى دؤاد من أولئك الرجال الأفذاذ الذين وهبوا صفات ممتازة، ويشيرون بإتباع الحق وحب الصدق والحض على الفضيلة"[2].

وكان ابن أبى دؤاد مع ذلك شاعراً أديباً مجيداً فصيحاً بليغاً ذكره دعبل في طبقات الشعراء ومن مأثور قوله: ثلاثة ينبغي أن يبجلوا وتعرف أقدارهم العلماء وولاة العدل والإخوان فمن استخف بالعلماء أهلك دينه ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ومن استخف بالإخوان أهلك مروءته ولأبى تمام[3] فيه مدائح جليلة منها قصيدته التي مطلعها:

سقى عهد الحمى سيل العهاد * وروض حاضر منه وباد

يقول فيها:

لقد أفنت مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبى دؤاد
منى تحلل به تحلل جناباً * رضيعاً للسواري والغوادي
ترشح نعمة الأيام فيه * وتقسم منه أرزاق العباد
وما اشتبهت طريق المجد إلا * هداك لقبلة المعروف هاد
وما سافرت في الآفاق إلا * ومن جدواك راحلتي وزادي
مقيم الظن عندك والأماني * وإن قلقت ركابي في البلاد

---

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٨٤.

[2] سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٤٥.

[3] أبو تمام (١٨٨-٢٣١هـ/٨٠٤-٨٤٦م) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدّمه على شعراء وقته فأقام في العراق، ثم ولى بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفى بها، له تصانيف كثيرة فحول الشعراء خ) و (ديوان الحماسة ط) ابن خلكان: المصدر نفسه والجزء، ص١٢١؛ محمد الخضري: تاريخ الدولة العباسية، ص٢٧٨.

معـــاد الـــبعث معـــروف ولكـــن * نـدى كفـيك فـي الدنـيا معـادى[١]

قاضي المظالم:

كانت ولاية المظالم تدخل بحسب أصولها في نطاق القضاء، وكان لوالي المظالم سلطات أوسع من القاضي وقد عبر الماوردي[٢] عن نظر المظالم بقوله "هو قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لأنه يحتاج نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين".

ويذكر الماوردي أن هيئة محكمة المظالم تتألف من خمس جماعات هم:

١- الحماة والأعوان. ٢- القضاة والحكام. ٣- الفقهاء.

٤- الكتاب. ٥- الشهود.

اختصاصات قاضي المظالم فهي:

١- النظر في تعدى الولاة على الرعية.

٢- تعسف العمال في جباية الضرائب.

٣- كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمون على ثبوت أموالهم.

٤- تظلم المرتزقة من نقص أرزاقهم.

٥- رد الغصوب.

٦- تنفيذ ما عجز عنه القضاة.

٧- الإشراف على الأوقاف.

٨- النظر فيما عجز عنه المحتسب.

٩- مراعاة العبادات الظاهرة.

١٠- الفصل في المنازعات التي تنشب بين الأفراد[٣].

وبالنسبة لزى القضاة فكانوا يرتدون القلنسوة فوق رؤوسهم، والبعض منهم ارتدى الملابس الرفيعة[٤] وعندما يذهب للفصل في المنازعات بين النساء كان يلبس

---

[١] المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٦٥-٦٦.

[٢] الماوردى: الأحكام السلطانية، ص٦٤.

[٣] وللمزيد راجع: وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي، ج٨، ص٦٢٥١ ـ ٦٢٥٥.

[٤] ابن الرقيق: تاريخ أفريقيا والمغرب تحقيق المنجى الكعبى، تونس، ١٩٦٧م، ص ٢٣.

الفرو الخشن وخلق الثياب.

كان القضاة في العصر العباسي يرتدون أيضا السواد شعار العباسيين، كما يُعَمم القاضي بعمامة سوداء فوق قلنسوة طويلة. وآثر القضاة في القرن الثالث للهجرة القلنسوة السوداء على غيرها ، حتى أصبحت تميز القضاة عن غيرهم بصفة خاصة[1]، وتلبس مع الطيلسان[2].

ثانياً: أسباب محنة القضاء في عهد المعتصم بالله:

هناك ثلاثة أسباب تلقى الضوء على محنة القضاء في عهد الخليفة المعتصم بالله تتمثل في مسألة خلق القرآن التي اهتم بها المعتزلة وأخذت بعداً سياسياً، ثم ظهور الهرطقات الدينية (حركة بابك الخرمى) التي تعد من أخطر الحركات الدينية والسياسية التي عرفتها بلاد المشرق الإسلامي وقيام الدولة العباسية، ثم الخروج على السلطة الحاكمة والذي تمثل في خروج الأفشين على الخليفة المعتصم بالله، فقد ارتبطت هذه الأسباب إرتباطاً وثيقاً بمحنة القضاء سواء في اجتماع السيف والرأي الذي لا رأى غيره في يد واحدة في محنة خلق القرآن وما حدث للإمام أحمد بن حنبل عندما أمر

---

(1) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي ، السياسي والحضاري، ص٢٢٩.

(2) الطيلسان: الجمع طيالس، وهو فارسي معرب من تالشان، وهو عبارة عن نوع بسيط من الثياب يُطرح على الرأس أو الكتفين، أو يحيط بالبدن، وهو خاص بالفقراء.. ولما شاع لبس الطيلسان وزاد اهتمام الناس به أصبح هناك نوعان: طيلسان مربع يجعل على الرأس كالعمامة أو القلنسوة، ويغطى به أكثر الوجه، ثم يدار طرفان منه تحت الحنك، إلى أن يحيطا بالرقبة جميعاً، ثم يلقيان على الكتفين، وسمي هذا النوع بطيلسان المحنك، هو نوع شاع استخدامه في صلوات الجمعة والمحافل، والنوع الثاني هو الطيلسان المقور الذي اعتبر لبسه مكروهاً، وكان على أشكال منها المدور، والمثلث، والمربع المسدول، ويختلف هذا الطيلسان عن سابقه في كونه يوضع على الرأس ويرسل طرفاه على الصدر، من دون أن يدار من تحت الحنك، كما أن طرفيه المكفوفين يرسلان من وراء الظهر، والسبب في كراهية لبس هذا النوع من الطيلسان في رأي بعض الفقهاء يرجع إلى كونه من شعار اليهود، ولأن فيه السدل المكروه في الصلاة، وكان الطيلسان يُصنع إما من الخز ويعرف في هذه الحالة بالبت، أو الديباج المزر أو غير المزر، ويُعرف بالكردي، وتختلف ألوان الطيالسة، فمنها الأخضر وكان يسمى ساجاً، ومنها الأبيض ومنها الأزرق. ابن منظور: لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة(بدون تاريخ)، ج٤، ص ٢٦٨٩؛ رينهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧١م، ص٢٢٩؛ إبراهيم سليمان الكروي: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٨٩م، حاشية رقم (٢)، ص٣٧.

المأمون بامتحان القضاة على يد القاضي أحمد بن دؤاد والذي يعد رأس فتنة القول بخلق القرآن وهو الذي حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن أو في الهرطقة الدينية وحركة بابك الخرمي أو في خروج الأفشين ثم القبض عليه وقول القاضي أحمد بن أبي دؤاد قد وضح لكم أمره فأعيد إلى محبسه حتى مات ثم أخرج وصلب على باب العامة ثم أحرق وتفصيل تلك الأسباب على النحو التالي:

١- مسألة خلق القرآن:

لقد اهتم المعتزلة[١] بمشكلة كلام الله اهتماماً خاصاً، وأخذت طابعاً سياسياً حين أوعز ابن دؤاد[٢] وثمامة بن الأشرس[٣] إلى الخليفة المأمون (١٩٧-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) بأن يجعل القول بخلق القرآن عقيدة رسمية للدولة ويتتبع كل معارض لها بالقتل والحبس والجَلد ومحنة الإمام أحمد بن حنبل تشهد بذلك[٤].

ولا خلاف بين المعتزلة وخصومهم من الفرق الإسلامية على أن الله تعالى متكلم وأن له كلاما وأن القرآن كلامه، لكن الخلاف حول معنى الكلام وحقيقة التكلم، وهل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟

وموقف المعتزلة من مشكلة كلام الله أو خلق القرآن هو فرع من تصورهم للتوحيد، ذلك أن إنكار الاعتقاد بخلق القرآن يعنى إثبات قدمه، وكل ما هو قديم فهو إله، فانفراد الله بالألوهية يعنى انفراده بالقِدَم.

---

(١) المعتزلة: من الفرق الإسلامية وهم أصحاب واصل بن عطاء الذى اعتزل عن مجلس الحسن البصري ... ولذلك سمى هو وأصحابه معتزلة، ويلقبون أيضا بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرهم وإنكارهم القدر فيها.
الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، القاهرة، (بدون تاريخ)، ج١، ص٤٣.

(٢) أحمد بن أبي دؤاد : هو ابن جرير بن مالك الايادى، أبو عبد الله أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن ،كان يقال :أكرم من كان فى دولة بنى العباس البرامكة ثم ابن أبى دؤاد ، وكان شديد الدهاء. قال عنه الذهبى : كانُ جهمياً بغيضاً، حمل الخلفاء على إمتحان الناس بخلق القرآن ولولا ذلك لاجتمعت الألسنة عليه .
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١،ص٢٢؛ محمد الخضري: الدولة العباسية، ص٢٧٦هامش (١).

(٣) ثمامة بن الأشرس : هو أبو معن ثمامة بن الأشرس النميرى وهو من شيوخ المعتزلة(ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) . البغدادي : الفرق بين الفرق، ص١٧٢.

(٤) إبراهيم محمد رشاد: علم الكلام مقدمات ومشكلات، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١١٩.

وقد خشي المعتزلة أن يعتقد المسلمون بقدم كلام الله فيماثلوا المسيحيين في قولهم بقدم الكلمة، مما يترتب عليه أن يحل القرآن في نفوس المسلمين مكانة المسيح من النصارى إذ كلاهما القرآن والمسيح كلمة الله، من هنا نادى المعتزلة بحدوث القرآن وأنه مخلوق، وقدموا أدلة عقلية ونقلية على القول بخلق القرآن ومن الأدلة العقلية ما يلي:

١ـ أنه لو كان الكلام أزليا فلابد من أن يصادف مأمورا مخاطبا في الأزل، والكلام من غير مخاطب سفه يتعالى الله عن ذلك.

٢ـ اختلاف خطاب الله تعالى للأنبياء، فخطابه لموسى ﷺ غير خطابه للنبي ﷺ، ومنهاجه مع الرسل مختلف، ويستحيل أن يكون معنى واحد في نفسه، كلامه مع شخص على معان وكلامه مع شخص آخر على معان أخرى، ثم يكون الكلامان شيئا واحدا[١].

٣ـ تحدى الله العرب بالقرآن يدل على حدوثه، لأن التحدي بالقدم مستحيل.

٤ـ القرآن غير الله لأنه يختص بصفات الحدوث التي تستحيل على الله تعالى، فهو متجزئ متبعض، له ثلث وربع، ومفصل ومحكم.

٥ـ لو كان القرآن قديما لوجب كونه مثل الله تعالى، لاشتراكه في صفة القدم الذاتية، وما خالف الله في بعض صفاته الذاتية يجب استحالة كونه قديما[٢].

٦ـ ربط المعتزلة بين مشكلة خلق القرآن ومشكلة اللغة، وهل هي توقيفية أي أن الله هو الواضع لها، أم اتفاقية أي أن العقلاء من الناس هم الذين وضعوها والمعتزلة يقولون بأن اللغة اتفاقية، وكون اللغة اتفاقية يقتضي ذلك حدوث كلام الله تعالى، لأنه لابد أن تكون لغة متقدمة يتفق على وضعها العقلاء، ثم يوجه الله تعالى كلامه بها المخاطبين المكلفين، لأن فائدة الكلام لا ترجع إليه تعالى، بل ترجع إلى غيره من المكلفين، وهذا يعنى أنه لابد من تقدم مواضعه يرتب كلامه تعالى عليها ليصح أن يستدل على مراده بكلامه، وتتم الفائدة للمكلف[٣].

ويستدل المعتزلة من القرآن الكريم على حدوث كلام الله تعالى وأن القرآن

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٤٣.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج٧، ص٨٠.

(٣) القاضي عبد الجبار: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

مخلوق، بأن الله تعالى ذكر في كتابه بعد أن بين أن الذكر هو القرآن، ما يدل على حدوثه بقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] وبين أن الذكر محدث بقوله: (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ)[2] وقوله تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[3] يدل على حدوث كلامه، لأن "كلم" يقتضي أنه أحدث كلاما ما كلم به غيره، وقوله تعالى "تكليما" يقتضي أن ما كلم به غيره حادث، لأن المصادر لا تكون إلا حادثة[4]، والدليل من السُّنة ما يروى عن الرسول ﷺ من قوله "كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر" وهذا يدل على حدوث القرآن.

هذا كله يعنى أن القرآن ليس قديما وأنه مخلوق، ولقد قام المعتزلة بالرد على أدلة خصومهم والتي تثبت قدم كلام الله تعالى وأن القرآن غير مخلوق، وهذه بعض ردود المعتزلة:

أ-قول خصوم المعتزلة بأنه تعالى لو لم يكن متكلما فيما لم يزل لوجب كونه أخرس أو ساكتا، لأن الحي إذا لم تكن به آفة وجب كونه متكلماً أو ساكتاً ويرد المعتزلة على ذلك، بأنهم إذا حملوا الغائب على الشاهد فيجب أن يثبتوا كلامه تعالى من جنس كلامنا[5].

ب- قول خصوم المعتزلة أنه لو حصل متكلم بعد أن لم يكن متكلما لاحتاج إلى آلة في إيجاد الكلام، ويرد المعتزلة على ذلك بأن ذلك يكون في الواحد منا القادر بقدرة، إذ هو محتاج إلى ما يفعل به الكلام، أما بالنسبة إلى الله تعالى فهو قادر لنفسه وليس بقدرة فلا يحتاج إلى آلة.

ج- وإذا احتج الخصوم بقول الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[6] فلو كان القرآن مخلوقا محدثا لكان "كن" محدثا وكان محدثا بكون آخر، والقول فيه كالقول في هذا، فكان يجب من ذلك حدوث ما لا نهاية له، وهذا فاسد، ويوجب أن "كن" غير محدثة، ولا مخلوقة، وكذلك القول في سائر كلامه تعالى،

---

[1] سورة الحجر، آية ٩.
[2] سورة الأنبياء، آية ٢.
[3] سورة النساء: آية ١٦٤.
[4] القاضي عبد الجبار: المصدر نفسه والجزء، ص٨٧.
[5] القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٧،ص٩١.
[6] سورة النحل، آية ٤٠.

ويرد المعتزلة بأن معنى قوله تعالى (أنْ نقُولَ لهُ كُنْ فيَكُونُ) أي نكونه ونريد حدوثه فيكون، ولا يبعد ولا يمتنع من كونه[1].

هكذا حاول المعتزلة الرد على أدلة الخصوم ونقضها، سواء بالأدلة العقلية أو النقلية ، كما قامت بتأويل الآيات القرآنية التي تدل على رؤية الله، لأن الرؤية تدل على الجسمية، وهذا ما يتنافى مع التنزيه المطلق عندهم، الذي بني عليه المعتزلة أصل التوحيد، وكان الأساس الذي استندوا عليه هو قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[2] وهو أساس إسلامي بحت[3].

ويتضح مما سبق أن الأصل في الفكر هو أن يكون حوارا بين لا ونعم وما يتوسطهما من ظلال، فلا الرفض المطلق الأعمى يعد فكراً ولا القبول المطلق يعد فكرا، ففي الأول عناد الأطفال وفي الثاني طاعة العبيد، تلك هي طبيعة الفكر الحر، أن يكون حوارا متعادل الأطراف، لا يأمر فيه أحدٌ أحداً، فأس البلاء هو أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأى غيره في يد واحدة، وهذا هو الجزء الذي ندعو إلى طمسه من تراثنا، فلقد يكون للأمير رأى ورأيه في رأسه والسياف إلى جواره ثم يتمثل المخالف بين يديه وفي مثوله هذا يكون الختام.

كذلك حدث هذا مع ابن المقفع مع سفيان بن معاوية، فقد جعل سفيان يقطع من جسم ابن المقفع وهو حي ثم يأمر بإحراقه، كذلك حدث الشيء ذاته في محنة خلق القرآن وما حدث للإمام أحمد بن حنبل مع الخليفة المأمون، فيروى أن الخليفة كتب إلى اسحق بن إبراهيم ليمتحن القضاة، ودار الامتحان مع بشر بن الوليد، وعلى بن أبى مقاتل، وأبى حسان الزيادى، وبعده جاء دور أحمد بن حنبل، وأمر إسحاق بهؤلاء الأربعة فشدوا في الحديد وتراجع الجميع ما عدا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، ولكن الخليفة المأمون جاءه الأجل[4]، فجاء المعتصم وقال له ابن دؤاد يا أمير المؤمنين هو

---

(1) القاضي عبد الجبار: المصدر نفسه والجزء، ص١٥٠.

(2) سورة الشورى: آية ١١.

(3) هذا يتضح من موقف الخليفة المهدي العباسي من بشار حينما خالفه في رأيه، كذلك الحلاج المتصوف الذي عَبَّر عن رأيه في الحلول وناظره علي بن عيسى الوزير، وضاق به وقال له... ما أحوجك إلى الأدب، ولقد حدث بالفعل وأمر السلطان بضرب الحلاج ألف سوط، وبقطع يديه، ثم بإحراقه في النار. للمزيد عن مسألة خَلق القرآن راجع محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ١٩٨٠، ص٢٥١ ـ ٢٥٨، ٢٥٩ ـ ٢٧٦.

(4) محمد أبو زهرة:تاريخ الجدل، ص٢٥٣.

ضال مضل مبتدع، وجرت مناظرة طويلة بن الفقهاء والقضاة وبين أحمد بن حنبل وكان الخليفة يتلطف بابن حنبل ثم أمر بإطلاق سراحه، هكذا لم يكن في ساحة الفكر عند الأسلاف حوار حر إلا في القليل النادر، وفي مواقف لم تكن بذي خطر على سلطة الحاكم[١].

٢ ـ *ظهور الهرطقات الدينية (حركة بابك الخرمي):*

تعتبر حركة بابك الخرمي (٢٠١-٢٢٢هـ/ ٨١٦-٨٣٦م) أخطر حركة دينية وسياسية، عرفتها بلاد فارس منذ قيام الدولة العباسية؛ وتميزت باتساعها وتنظيم دعايتها وخططها المنظمة وبراعة قيادتها، واتصالها بغير الفرس اتصالاً واسعاً إذ اتصلت زعامة هذه الحركة بعدد من الشعوب المجاورة لمنطقة الجبال[٢]؛ كالأرمن والأكراد وغيرهم من الشعوب الصغيرة فيما وراء القوقاز، واستهدفت إقامة نظام ديني سياسي اقتصادي اجتماعي مستنداً إلى المبادئ المزدكية[٣].

عَيَّنَ الخليفة المعتصم قواداً قديرين لإدارة المعارك مع الحركة البابكية كالأفشين الأسروشني، وأغلبهم كان يدين بولاء كبير للخليفة، كأبي سعيد محمد بن يوسف الطائي، وإسحاق بن إبراهيم، والهيثم الغني أحد قواد الجزيرة، وعلوية الأعور أحد قواد الأبناء، وأبو دلف القاسم بن عيسى العجلي أحد أمراء الجبال، وبغا الكبير، وجعفر بن دينار الخياط.

---

(١) محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٢) منطقة الجبال: منطقة تشمل البلاد الواقعة ما بين أصفهان وزنجان وقزوين وهمذان ودينور وقرميسين والرى وتسمية العجم بالعراق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص٢٦.

(٣) المزدكية: نحلة تنسب إلى مزدك، ذكره ابن النديم وغيره على النحو التالي: "وكان المزدكية أهل مجوس فى الأصل، ثم حدث مذهبهم وصاحبهم مزدك القديم؛ أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم لبعض، ولهم مشاركة في الحرم والأهل؛ لا يمنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ...، ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم؛ إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شئ يلتمسه كائنا ما كان ...". ابن النديم: الفهرست، حققه محمد أحمد محمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (بدون تاريخ)، ص٤٧٩-٤٨٠؛ ابن الجوزى: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبع حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٧هـ،ج٢، ص١١٢.

ويمتاز إقليم أذربيجان[1] بكثرة الثلوج والأمطار[2]، مما أثّرَ في حرية تحرك القوات العباسية، وقد اعتمد الخليفة المأمون على تموين الولاة المحليين، مما أدى إلى تهاونهم في مجابهة الحركة نتيجة عدم استطاعتهم تموين قواتهم العسكرية لقلة إمكانياتهم[3]، وقد تلافى الخليفة المعتصم ذلك الخطأ فلم يبخل على الجيش العباسي بالأموال، يقول الطبري: "وكان يجزي -المعتصم- الأفشين في مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق والإنزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم"، وأرسل القائد إيتاخ إلى الأفشين ومعه ثلاثون مليون درهم معونة له[4].

وأمر الخليفة المعتصم بترميم الحصون التي خربها بابك، وذلك من أجل حراسة طرق تموين القوات العباسية، بعد وضع رجال لحراسة تلك الطرق لمنع تسلل البابكيين[5]، فضلاً عن عزل البابكيين عن حلفائهم في طبرستان[6]، وأعاد توزيع القوات العباسية على الحصون والحاميات مما جعل السيطرة تامة على طرق المواصلات بين القيادة والجيش وحراسة القوافل[7]، ولقد اهتم الخليفة بالبريد، فنظمه تنظيماً جيداً فيه الكثير من الابتكار، فكانت الرسائل تصل الأفشين وبالعكس خلال أربعة أيام وأقل[8].

وضع الخليفة خطة بعدم إعدام جواسيس البابكيين، بل كان يبذل لهم الأموال

---

(1) يقول ياقوت في أذربيجان: قيل أذ اسم النار بالفهلوية، وبيكان معناه الحافظ والخازن، فكأن معناه بيت النار أو خازن النار، ثم يقول: وهذا أشله بالحق وأحرى به، لأن بيوت النار في هذه الناحية كانت كثيرة جداً، وحد أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أذربيجان مغرباً، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطرم، وهو إقليم واسع. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ج١، ص١٠٩-١١٠.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٠٩م، ص٣٧٨.

(3) الطبري: تاريخ الرُسل والملوك،ج٨، ص٦٢٢.

(4) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص٥٤،٢٩.

(5) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص٥، ١١-١٢.

(6) طبرستان: وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم،خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه والغالب على هذه النواحي الجبال.ياقوت الحموى :معجم البلدان ، مج ٣،ج٦،ص ٢٤٤.

(7) الطبري:تاريخ الرسل والملوك ،ج٨، ص١٢ - ١٣، ١٦ - ١٧، البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق وشرح عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٨٧م، ج٢، ص٤٠٤

(8) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص٥٢، المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص١٦٩.

حتى يتعاونوا مع الجيش العباسي، وبذلك تم الاطلاع على كثير من فعاليات البابكيين[١]، وابتكر القائد الأفشين جهازاً للمراقبة على جانب كبير من المقدرة والكفاءة والفعالية وهم أصحاب الأخبار، وكانت لهم معرفة واسعة بطبيعة الأرض وبتحركات البابكيين، فكانوا يصعدون إلى مناطق شاهقة، مما يسهل عليهم مشاهدتهم وكمائنهم ، وبالتالي يرفعون الأعلام الخاصة حتى ينتبه الجيش العباسي فيأخذ الحيطة والحذر[٢].

وتقع قلعة البذ على جبل شاهق، وهي قلعة حصينة، ولقد واجه الجيش العباسي صعوبات كبيرة في احتلالها،وأبدى الجيش العباسي بطولات فريدة، وابتكر طرقاً عديدة في أسلوب القتال في مثل تلك المناطق، وكانت لملاحظات المعتصم ومتابعاته وتوجيهاته أثر كبير في تحرير (البذ) من البابكيين، ثم في بناء الجيش العباسي للاستحكامات وإجراء المناورات وتدريب الجيش على المواقع وزحف الجيش بشكل بطيء وحذر وحيطة شديدة، عوامل مهمة ساعدت الجيش العباسي على تحرير القلعة، إلا أن بابك استطاع الهرب مع بعض أتباعه وذلك في رمضان من عام ٢٢٢هـ / أغسطس٨٣٧م[٣].

وقد حاول إمبراطور الروم مساعدة بابك الخرمي لتخفيف الضغط عليه، فهاجم زبطرة على الحدود[٤] ، إلا أن هذه المحاولة لم تثن الجيش العباسي عن محاولة احتلال القلعة، ومهما يكن من أمر فإن القائد العام للجيش العباسي شَدَّدَ الحراسة ليلاً ونهاراً على جميع المسالك والطرق المؤدية إلى الوادي الذي هرب فيه بابك وأخواه ، وكتب الأفشين إلى أمراء تلك النواحي بضرورة مراقبة الطرق والقبض على أي مشتبه به، وأخيراً تم القبض عليهم، واقتيد بابك إلى سامراء، واستُقبل الجيش العباسي استقبالاً حافلاً، وحُمِل بابك على الفيل لإشهاره بين الناس، ثم أعدم في سامراء[٥].

٣ - *الخروج على السلطة الحاكمة:*

أ- المعتصم وقائده الأفشين:

---

(١) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص٥٢؛ المسعودى : المصدر نفسه والجزء، ص١٦٩.
(٢) الطبري:المصدر نفسه، ج٩، ص١٢، ١٣، ٢٨.
(٣) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص١٢.
(٤) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص٥٥، ٥٧.
(٥) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٤٦٨، ٤٦٩. سامراء: لغة في سر من رأى، مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة، وقد خُربت. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص١٠ ـ ١١.

هو حيدر بن كاوس الأسروشني المعروف بالأفشين. وقصة هذا القائد العباسي تبدأ عندما دخل أحمد بن أبي خالد بلاد ما وراء النهر[1] على رأس حملة عسكرية لإخضاع إقليم أسروشنة ؛ لأن أميرها كاوس كان قد وافق على دفع الجزية[2] للمأمون، ولكنه عاد فحنث بعده عند رحيل المأمون من مقر إقامته في مرو إلى بغداد في سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م. وعقب ذلك اندلع القتال بين أفراد الأسرة الحاكمة بأسروشنة بعد أن قتل حيدر بن كاوس وهو ابن الأفشين رجلاً من كبار النبلاء كان على رأس حزب أخيه الفضل بن كاوس، الذي كان متزوجاً من ابنة ذلك الرجل. وقد اضطر حيدر عقب ارتكابه الجريمة إلى الهرب؛ فلاذ أول الأمر بالحاكم العربي في المنطقة ، ثم لجأ إلى بغداد[3]، وكان ردّ أخيه الفضل على ذلك أن فتح أبواب بلاده للطغزغز[4]،عام ٢٠٥هـ / ٨٢٠م. وفي عام ٢٠٧هـ / ٨٢٢م أنفذ المأمون الجيش الذي كان ضمه معه، وكان دليلهم حيدر، الذي قادهم بطريق أقصر لم تعرفه العرب من قبل؛ ففوجئ كاوس واضطر إلى الاستسلام، أما ابنه الفضل فقد تقهقر إلى السهوب مع الترك، لكنه ما لبث أن انضم إلى العرب، وذهب كاوس إلى بغداد، واعتنق الإسلام، وتم الاعتراف به رسميا حاكماً لبلاده، أما حيدر بن كاوس فإنه قدم مع أحمد بن أبي خالد وجملة من أبناء ملوك خراسان[5].

كان حيدر في حاشية المعتصم وهو أمير في عهد المأمون؛ ولما رأى شجاعته

---

(١) ما وراء النهر: تشمل المنطقة الواقعة بين نهرى جيحون وسيحون، وهذا الإقليم ينقسم إلى خمسة أقسام: الصغد وله عاصمتان (بخارى وسمرقند)، خوارزم- الصغانيان- فرغانة- الشاش، ومن أشهر مدن ما وراء النهر ترمذ وأشروسنة وفاراب، ويسمى إقليم ما وراء النهر إقليم المشرق . المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص٢٨٤؛ ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ص٤٦٣؛ ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج٤، ج٧، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) الجزية: ضريبة فرضت على من لم يسلم من سكان البلاد المفتوحة، ونكون بدفع المال على الرؤوس، وذلك للدلالة على عِزة الإسلام، وقد ذكرت هذة الضريبة فى القرآن الكريم، وجباها الرسول صلى الله عليه وسلم. البلاذرى:كتاب فتوح البلدان،، ص٦٨؛ الماوردى: الأحكام السلطانية، ص١٢٦.

(٣) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص٣٣٤.

(٤) الطغزغز (أو التغزغز): عشائر تركية تنتمي إلى الترك الغربيين، وملكهم يسمى خاقان الطغز غز، وبلادهم أوسع بلاد الترك وقريبة من الصين.ياقوت الحموى:المصدر نفسه،ج٢، ص٢٣؛ بارتولد: المرجع نفسه، ص٣٢٢، ٣٢٣، ٧٢٦.

(٥) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، نشر دار صادر، بيروت١٩٦٠م، ج٢، ص٤٥٧؛ الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٩٥؛ بارتولد: المرجع نفسه، ص٣٣٤.

وشهامته استعان به فيما ولى من الأعمال. وعندما كان المعتصم والياً على مصر والشام أرسل الأفشين حيدر بن كاوس نيابة عنه للقضاء على الاضطرابات في برقة[١] ومصر فنجح فيها وبعد أن نجح الأفشين في برقة انصرف منها إلى مصر وأقام بها[٢].

وفي عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م قدم الأفشين حيدر بن كاوس إلى مصر ومعه على بن عبد العزيز الجردى ، وقد أمر الأفشين أن يطالب عليا بالأموال التي عنده...فلم يدفع شيئاً فقتله[٣] كذلك نازل الأفشين الثائرين العرب في الإسكندرية وهزمهم، ودخل المدينة في سنة ٢١٦هـ/٨٣١م"[٤]، كذلك حارب المأمون القبط[٥] بالأفشين في أدنى قراهم؛ في الصعيد والدلتا، ويقول المقريزى: "فانتفضت أسفل الأرض أي شمال مصر البحري عربها وقبطها في جمادى الأولى سنة ٢١٦هـ/٨٣١م؛ فاضطر المأمون إلى القدوم بنفسه لضخامة هذه الثورة وخطورتها، وكان على رأس جيشه الأفشين؛ فتغلب على الثائرين، وسَبىَ قسماً كبيراً من القبط"[٦].

يقول ابن الأثير: "وفى سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجه لحرب بابك فسار إليه"[٧] فقاومه الأفشين سنة وانهزم من بين يديه غير مرة، وعاوده، وآل الأمر إلى أن تنحى بابك إلى البذ[٨] مدينته، حتى انتصر

---

(١) برقة: اسم مدينة تشمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص٣٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص٦٢٥.

(٣) الكندي: الولاة وكتاب القضاة، ص١٨٩-١٩٠.

(٤) الكندي: المصدر نفسه، ص١٩١.

(٥) كلمة قبط Kibt يقال أنها التسمية العربية لأهل مصر نسبة إلى ملك مصر القديم، قبط بن نوح بن سام ويعتقد بعض الأوربيين أن كلمة قبط مشتقة من كلمة Coptos اسم إحدى المدن المصرية. واسم القبط -في الواقع- يطلق على أهل مصر من المصريين اليعاقبة. انظر The Encyclopedia of Islam, V.2, Art.Kibt, P.990. ، وراجع فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمى)، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ج١، ص٥٤.

(٦) المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ص٩٩-١٠٠؛ سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٢٣٧-٢٤٠

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٦، ص١٨.

(٨) البذ: كورة بين أذربيجان وأران، بها كان مخرج بابك. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص٢٨٦.

عليه الأفشين وقبض عليه[1]. وكان المعتصم يقدّر قائده الأفشين على همته ونشاطه؛ فكان يجزى الأفشين في مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق والأنزال[2] والمعاون[3] في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم، وفى كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم". وبعد عودته إلى سرّ من رأى تُوج المعتصم قائده الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين مليون درهم، وعقد له على السند[4]، وأدخل عليه القراء يمدحونه وذلك يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧م[5]" وعندما غزا المعتصم عمورية من بلاد الروم في سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧م كان الأفشين قائداً لإحدى الجيوش الثلاثة التي دخلت بلاد الروم وأسهمت في فتح المدينة، وسلك الأفشين بجيشه طريق سيواس ليجتمع بجيش ملطية وكانت له مواقف بطولية في حصار عمورية والاستيلاء عليها. ثم كانت المعركة التي وقعت بين الأفشين وملك الروم يوم الخميس ٢٥ شعبان ٢٢٣هـ / ٨٣٧م، وكان وصول المعتصم إلى عمورية يوم الجمعة السادس من رمضان من نفس العام[6].

ب- غضب المعتصم على الأفشين:

غضب المعتصم على قائده التركى الأفشين في سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م، يقول ابن الأثير في سبب ذلك أن "الأفشين كان أيام حربه بابك لا تأتيه هدية من أهل أرمينية وأذربيجان[7] إلا وجه بها إلى أسروشنة[1]؛ فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر؛ فيكتب عبد

---

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص١٣٩.

(٢) الأنزال: جمع نُزل وهو العطاء. المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٥٣.

(٣) المعاون: جمع عون ومعرفة، وهى الإعانة. يقال: لا تبخلوا بمعونكم. المعجم الوسيط، ج ٢ ، ص ٦٤٤.

(٤) السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، قصبتها مدينة يقال لها المنصورة.ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج٣، ج٥، ص٨٢.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٥٤.

(٦) الطبري: المصدر نفسه والجزء، ص٧٠.

(٧) أذربيجان: بالفتح ثم السكون إقليم يحده من الشرق إقليم الجبال والديلم ومن الغرب بلاد الأرمن ومن الشمال بلاد الديلم والجبال ومن الجنوب العراق وشيء من حد الجزيرة ، وقيل أن "أذر" اسم النار بالفهلوية، و"بايكان" معناه الحافظ أو الخان فكان معناها "بيت النار" أو "خازن ". النار. الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٠٨؛ ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت٢٩٠هـ /٩٠٢ م): كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت (د ت)، ص٥٨١؛ ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ج١، ص١٠٩؛ لسترنج:

الله إلى المعتصم يعرفه الخبر ، فيكتب إليه المعتصم يأمره بإعلامه بجميع ما يوجه الأفشين ؛ ففعل عبد الله ذلك...، فأنفد الأفشين مرة مالاً كثيراً؛ فبلغ أصحابه إلى نيسابور. فوجه عبد الله بن طاهر من يفتشهم، فوجد معهم المال. فقال: من أين لكم هذا المال؟. فقالوا: للأفشين....، فقال : كذبتم.. أنتم لصوص، وأخذ عبد الله المال فأعطاه الجند، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم؛ وقال: أنا أنكر أن تكون وجّهت بمثل هذا المال ولم تعلمني ، وقد أعطيته الجند عوض المال الذي يوجّهه أمير المؤمنين؛ فإن كان المال لك كما زعموا فإذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته إليك، وإن لم يكن غير هذا فأمير المؤمنين أحق بهذا المال، وإنما دفعتهم إلى الجند لأني أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك. فكتب إليه الأفشين: إن مالي ومال أمير المؤمنين واحد، وسأله إطلاق القوم فأطلقهم؛ فكان ذلك سبب الوحشة بينهما، وجعل عبد الله يتتبعه"[٢].

ثالثاً: مظاهر محنة القضاء في عهد المعتصم:

١ ـ القضية الدينية:

أ ـ قضية الإمام أحمد بن حنبل[٣]:

ويستدل من الأحداث الدينية التي تتعلق بقضية خلق القرآن أن القاضي ابن أبى دؤاد كان مناصراً للسلطة في مواجهة من أجبر على القول بخلق القرآن من جهة ومن رفض تماماً القول بخلق القرآن مثل الإمام أحمد بن حنبل وتفصيل ذلك فيما يتعلق بمن أجبر على القول بخلق القرآن أن الطبري ذكر في أخبار سنة ٢١٢هـ-٨٧٢م ما يلي: "وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن"[٤]. وقد أوضح الطبري موقف المأمون من هذه القضية بقوله: "وقد وافق المأمون المعتزلة فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق، وعمد إلى تسخير قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق كتاب الله؛ فأرسل في سنة

بلدان الخلافة الشرقية، نقلة إلى العربية ووضع فهارسة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٤م، حاشية رقم (١)، ص١٩٣.

[١] أسروشنة: بلد كبير بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند. ياقوت الحموى: المصدر نفسه والجزء، ص١٩٧.

[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٦، ص٦٠-٦١.

[٣] للمزيد عن الإمام أحمد بن حنبل: راجع محمد أبو زهرة: أحمد بن حنبل حياته وعصره ـ وآراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، (بدون تاريخ)، ص١٥ ـ ٣٦، ١٠٥ ـ ١١٥.

[٤] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٦١٩؛ سيدة إسماعيل الكاشف؛ مصر في فجر الإسلام، ص ١٧٧- ١٨.

٢١٨هـ/٨٣٣م كتاباً إلى والى بغداد إسحق بن إبراهيم بن مصعب يطلب منه امتحان القضاة والمحدثين في مسألة القرآن ، كما أمره أن يأخذ على القضاة عهداً بأن لا يقبلوا شهادة مَنْ لا يقول بخلق القرآن، وأن يعاقب كل من لم يقل بهذا الرأي.

ومما جاء في هذا الكتاب: "وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشوة الرعية وسفلة العامة؛ ممن لا نظر له ولا رؤية عن حقيقي دينه وقصور، أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه؛ ذلك أنهم ساووا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه ولم يخترعه، وقد قال تعالى "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"[١]، وكل ما جعله الله خلقه، كما قال تعالى: "وجعل الظلمات والنور"[٢]، وقال تعالى: "وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"[٣]. والله محكم كتابه ومفصله؛ فهو خالقه ومبدعه فاجمعْ من بحضرتك من القضاة، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، وامتحنهم فيما يقولون، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله تعالى القرآن وأحداثه، فيما يقولون، وأعلمهم أني غير مستعين في عملي ولا أثق بمن لا يوثق بدينه"[٤].

وتتوالى الأحداث؛ ففي سنة ٢١٨هـ أيضاً كتب المأمون إلى إسحق بن إبراهيم في أشخاص سبعة نفر من العلماء؛ فأشخصوا إليه فامتحنهم، وسألهم عن خلق القرآن؛ فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق، فأعادهم إلى بغداد ، فأحضرهم إسحق بن إبراهيم داره وشهرَ قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فأخلى سبيلهم"[٥] أما فيما يتعلق بمن رفض تماماً القول بخلق القرآن ومنهم الإمام أحمد بن حنبل فأنه يمكن القول أن إسحاق بن إبراهيم قد أحضر جماعة أخرى وأعلمهم بما أمر به المأمون فأجاب القوم جميعاً إلا أربعة منهم وهم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريرى ومحمد بن نوح المضروب فأمر بهم إسحق فشدوا في الحديد فلما كان الغد دعاهم وأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة والقواريري وأصرَّ أحمد بن حنبل إلى أثبت أنه أشدهم تعصباً ومحمد بن نوح على قولهما؛ فشدًا في الحديد ووجّها إلى طرسوس[٦] ....، فلما صاروا إلى

---

[١] سورة يوسف، الآية رقم (٢).
[٢] سورة الأنعام، جزء من الآية الأولى.
[٣] سورة هود، جزء من الآية رقم (١٢٠).
[٤] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، نص الخطاب صفحة ٦٣١-٦٣٤.
[٥] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣.
[٦] طرسوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. ياقوت الحموي: معجم

الرقة[١]، بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد[٢].

لدينا صورة عن كيفية امتحان ابن حنبل فقد كان السؤال الموجه إليه: مم تقول في القرآن؟". قال ابن حنبل: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ كمثله شئ". قال: "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"[٣]. وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني، ولا وجه من الوجوه؛ فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر، فقال : أصلحك الله! إنه يقول: سميع من أذن، بصير من عين. فقال: فما معناه؟ قال: لا أدرى، هو كما وصف نفسه[٤].

كان المأمون قد أوصى أخاه المعتصم حين عهد إليه بالخلافة من بعده في وصيته: "... وخُذ بسيرة أخيك في القرآن..."[٥]. وقد سار المعتصم على سياسة أخيه في حمل الناس على القول بخلق القرآن، مع أنه لم يكن له حظ من العلم يجعله ذا رأى في هذه المسألة، وإنما كان ينفذ وصية المأمون؛ وحُبس ابن حنبل منذ وفاة المأمون، ثم عقد له مجلس للمناظرة مع ابن أبى دؤاد، قاضى القضاة، سنة ٢٢٠هـ-٨٣٥م، وقد دام المجلس ثلاثة أيام وهو مُصِرّ على الرفض ؛ فأمر المعتصم بضربه بالسياط حتى تعددت جراحاته وأعيد إلى السجن[٦].

وعن أحوال العلماء في مصر في تلك الفترة، يقول ابن تغرى بردى أيضاً: "وكان ما جرى عليه (أي على ابن حنبل) جرى على أمثاله... وإذا لم يُقتل لزهده وضجيج الناس من أجله فقد قُتل كثير من العلماء غيره، وأبادَ والى مصر فقهاءها وعلماءها إلى أن أجاب غالبهم بخلق القرآن، وبعضهم هرب أو سجن"[٧].

البلدان، مج ٣، ج٦، ص٢٥٦.

[١] الرقة: مدينة مشهورة على نهر الفرات من الجانب الشرقي بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص٤١٣-٤١٤.

[٢] ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء، ص٣.

[٣] سورة الشورى، جزء من الآية (١١)؛ سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ١٧٧-١٨١.

[٤] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ٦٣٩

[٥] الطبرى: المصدر نفسه والجزء، ص ٦٤٨.

[٦] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠م، ج٢، ص٢١٨.

[٧] ابن تغرى بردى: المصدر نفسه والجزء، ص٢١٨.

هكذا أساء المعتصم إلى أحمد بن حنبل حتى أنه "مكث في الحبس ثمانية وعشرين شهراً، وضربه ثلاثة وثمانين سوطاً[1] وكان ضربه في العشر الأخير من شهر رمضان سنة ٢٢٠هـ-٨٣٥م. وبقى في السجن إلى أن مات المعتصم؛ فلما ولى الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤٢-٨٤٧م) منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م) وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن[2].

٢ -*القضايا السياسية:*

أ- قضية أبى دلف القاسم العجلى[3]:

تتمثل القضية في أن الأفشين كان يحسد أبى دلف بن عيسى العجلى للعربية والشجاعة فأحتال عليه حتى شهد عليه بجناية قتل،فأخذه وأحضر السياف لقتله وبلغ الخبر القاضي أبن أبى دؤاد وكان ممن يحبون الخير للناس وله شرف نفس وجمال خلق عربي حتى عرف بالمروءة، وكان يحمل فى سبيلها مالا يحمله أحد، قال أبن عبد الرجمن الكلبى:ابن أبى دؤاد روح كله من قرنه إلى قدمه [4]، فخاف الأفشين إذا هو ذهب إلى المعتصم وكلمه في شأنه أن يكون الكلام بعد فوات الوقت فركب فوراً على من حضره من العدول ودخل على الأفشين، وقد جيء بأبى دلف ليقتل فوقف وقال إنى رسول أمير المؤمنين إليك وقد أمرك ألا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تسلمه إلى ثم التفت إلى العدول وقال اشهدوا أن أديت إليه الرسالة عن أمير المؤمنين والقاسم حي معافى فقالوا شهدنا وخرج فلم يقدر الأفشين على تنفيذ مراده وذهب ابن أبى دؤاد إلى المعتصم من وقته فقال له يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها ما أعتد بعمل خير خيراً منها وأنى لأرجو لك الجنة بها ثم أخبره الخبر فصوب المعتصم رأيه ووجه من أحضر أبي دلف القاسم فأطلقه ووصله وعنف الأفشين على ما كان عزم

---

[1] أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، القسطنطينية، ١٢٨٦هـ، ج٢، ص٣٥.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٦٤.

[3] أبودلف القاسم بن عيسى: أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بنى عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء قلده الرشيد العباسي أعمال (الجبل) ثم كان من قادة جيش المأمون وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٤٢٣.

[4] محمد الخضري: الدولة العباسية، ص٢٧٧.

عليه، وعد ذلك من طريف نوادر ابن أبى دؤاد في المروءة الذي أنقذ ابا دلف من التهمة التي لفقها الأفشين له [١].

ب- قضية خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى:

غضب المعتصم مرة على خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وأشخصه من ولايته لعجز لحقه في مال طلب منه فطلبه المعتصم لعقوبته دون محاكمة لولا مروءة القاضي ابن دؤاد وتفصيل ذلك وجوده مع المعتصم مما عدل مزاجه لأنه شجاع شديد عجول فكان إذا أسرع إليه الغضب هدأ ابن أبى دؤاد من حدته وأراه وجه الأناة والعفو فلا يسعه إلا أن يسير في سبيلها وكان له عليه من الدالة وعلو المركز ما يستعين به على تنفيذ غرضه- ، وكان خالد قد طرح نفسه على ابن أبى دؤاد فتكلم فيه فلم يجبه المعتصم فلما جلس المعتصم حضر أحمد وهو قاضى القضاة فجلس دون مجلسه المعتاد فقال له المعتصم يا أبا عبد الله جلست في غير مجلسك فقال ما ينبغي لي أن أجلس إلا دون مجلسي هذا فقال له وكيف؟ قال لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعي من يشفع في رجل فيشفع-فقال المعتصم ارجع إلى مجلسك. قال مشفعاً أو غير؟ قال بل مشفعاً فارتفع إلى مجلسه ثم قال إن الناس مما يعلمون رضاء أمير المؤمنين إن لم يخلع عليه فأمر بالخلع عليه فقال يا أمير المؤمنين قد استحق هو وأصحابه رزق ستة أشهر لابد أن يقبضوها وإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة فقال قد أمرت له بها فخرج خالد وعليه الخلع وبين يديه المال وإن الناس ينتظرون الإيقاع به فصاح به رجل الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب فقال له اسكت سيد العرب والله أحمد بن أبى دؤاد، وكان في ابن أبى دؤاد عصبية عربية ولعل هذا أفاد العرب وحفظ لهم شيئاً من مقامهم في عهد المعتصم الذي جعل القوة كلها لغلمان الأتراك الذين استكثر منهم ومن قوادهم[٢].

ج- قضية الأفشين حيدر بن كاوس:

ومن معالم محنة القضاء أن قاضى القضاة أشار على الخليفية المعتصم بقتل الأفشين مراعاة للسياسة، وليس لإقامة العدالة، وتفصيل ذلك أن أحمد بن أبى دؤاد هو الذي أشار على المعتصم بقتل الأفشين حيدر بن كاوس الذي كان من الشخصيات المرموقة والقواد البارزين في عهد المعتصم، ومن الذين ارتفعت منزلتهم لدى الخليفة،

---

[١] محمد الخضري: المرجع نفسه ، ص٢٧٨.
[٢] محمد الخضري: الدولة العباسية، ص٢٧٨.

ويذكر الدينوري ذلك بالآتي: "أن أحمد بن أبي دؤاد وَجد[1] على الأفشين لكلام بلغه عنه؛ فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين؛ نصفاً مع الأفشين ونصفاً مع أشناس؛ ففعل المعتصم ذلك؛ فوجد الأفشين منه وطال حزنه واشتد حقده. فقال أحمد بن أبي دؤاد للمعتصم: يا أمير المؤمنين، إن أبا جعفر المنصور استشار أفصح الناس عنده في أمر أبي مسلم، فكان من جوابه أنه قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"[2]، فقال له المنصور حسبك، ثم قتل أبا مسلم. فقال له المعتصم: أنت حسبك يا أبا عبد الله، ثم وجّه إلى الأفشين فقتله"[3].

هذا وكان أحمد بن أبي دؤاد من الذين أخلصوا لعملهم قاضيا للقضاة، وكان مقره في عاصمة الدولة سامراء[4]، ثم إنه كان أحد زعماء مذهب الاعتزال، وكان على خلاف شديد مع الوزير محمد بن عبد الملك الزيات[5] بفتح الكلام[6] مع الخلفاء، وكان لا يبدؤهم أحد حتى يبدأه"[7].

كان لأحمد بن أبي دؤاد في حياة المعتصم مركز لا يدانيه أحد، وكان ممن يحبون الخير للناس، وله شرف نفس وجمال خُلق عربي حتى عُرف بالمروءة، وكان يحمل في سبيلها ما لا يحمله أحد،كان وجود ابن أبي دؤاد مع المعتصم مما عدل مزاجه لأنه شجاع شديد عجول؛ فكان إذا أسرع إليه الغضب هدّأ ابن أبي دؤاد حدته، وأراه وجه الأناة والعفو فلا يسعه إلا أن يسير في سبيلها، وكان له عليه من الدالة وعلو المركز ما يستعين به على تنفيذ غرضه، كما فعل مع المعتصم عندما اشتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي؛ فأمر بضرب عنقه؛ فلما رأى ابن أبي دؤاد ذلك، وأنه لا حيلة له وقد شد برأسه، واستعد الجلاد لقتله وهز له السيف؛ قال ابن أبي دؤاد للمعتصم: وكيف تأخذ ماله إذا قتلته؟ قال"ومن يحول بيني وبينه؟ قال: يأبى الله تعالى ذلك ويأباه رسول الله ﷺ.

---

(1) وَجَدَ (فلان عليه)؛ أي أغضب عليه. المعجم الوسيط، ج٢، ص١٠٢٤.
(2) سورة الأنبياء، جزء من الآية ٢٢.
(3) الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠، ص٤٠٥- ٤٠٦.
(4) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص١٠.
(5) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، خمس مجلدات، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مج٦، ص١٣٤.
(6) افتتح الكلام: بمعنى أن يبادر الشخص الكلام.
(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص٨١.

، ويأباه عدل أمير المؤمنين؛ فإن المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة على فعله...وخلص محمداً [١].

كذلك كان أحمد بن أبى دواد يكلم المعتصم في أهله وفى أهل الثغور وفى الحرمين وفى أقاصي أهل المشرق والمغرب فيجيبه إلى كل ما يريد[٢].

محاكمة الأفشين:

إن محاكمة الأفشين التي عقدها المعتصم لمحاكمته، واشترك فيها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات والقاضى أحمد بن أبى دواد وكثير من رجالات الدولة، تعتبر المحاكمة الكبرى في تاريخ الزندقة[٣] أطلقت على بعض معتنقي المجوسية؛ تلك الديانة التي كان يعتنقها الأفشين قبل إسلامه وكشف عن كثير من المظاهر والشكليات الدينية الزرادشتية أو غيرها كان ينتقل مع أصحابه إلى الإسلام، أو يظل معمولاً بها بعد التحوّل إليه[٤]، ويذكر أحد المؤرخين: أنه تتبين من محاكمة الأفشين مبلغ تعصبه لوطنه ودينه، وتنكشف سلسلة التهم التي رمى بها، كما يتبين اهتمام المعتصم بكشف غوامض هذه المؤامرة الخطيرة التي دبرها الأفشين وأنصاره[٥]" ويذكر المسعودى "أن الأفشين مات في الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار، فأقر عليه، فأخرج الأفشين ميتاً، فصُلب بباب العامة، وأحضرت أصنام زعموا أنها كانت حملت إليه، فألقيت عليه، وأضرمَت النار فأتت على الجميع"[٦].

---

(١) ابن خلكان: المصدر نفسه والجزء، ص٨٢-٨٣.

(٢) ابن خلكان: المصدر نفسه والجزء، ص٨٣.

(٣) زنديق: اختلف المؤرخون في تعريف الزندقة اختلافاً كبيراً، مع اتفاقهم التام على خطورتها على الإسلام. فبعض المؤرخين ينظرون إلى الزنادقة على أنهم الشعوبيون الفرس، أو المجوس الفرس، ورأوا أن الزندقة هي محاولة إحياء العقائد المجوسية، وبعث الحضارة الفارسية القديمة. ورأى بعضهم أنها دعوة إلى حرية اجتماعية تنطلق إلى أبعد مدى وراء ستار الحضارة والتطور، لتصل إلى حد الفوضى الاجتماعية، ويرى فريق ثالث أنها حركة مزج أو ملاءمة بين الحضارة الإسلامية وتعاليم المجوسية. على حسن الخربوطلى: الحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ)، ص ٤٨- ٤٩.

(٤) شاكر مصطفى: دولة بنى العباس، الكويت، ١٩٧٣م، ج٢، ص ٢٣٤

(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ١١٤.

(٦) المسعودى: مروج الذهب، ج٤، ص ٦٥-٦٦.

الخاتمة

تعرضت في الصفحات السابقة بصورة موجزة للنظام القضائي في عهد المعتصم بالله العباسي، وعرفت ما قام عليه من دقة وإحكام، وما كان يراعى في اختياره للقضاة من غزارة العلم والتقوى والورع، بيد أن القضاء في عهده كان في محنة وهي ظهور المعتزلة وآرائهم الدينية التي كانت معظمها لا تتفق مع عالمية الشريعة الإسلامية التي تكون صالحة في كل زمان ومكان، ولذلك صيغت نصوصها بحيث لا يؤثر عليها مرور الزمن، ولا يبلى جدتها، ولا يقتضي تغير قواعدها العامة، ونظرياتها الأساسية، فجاءت نصوصها من العموم والمرونة بحيث تحكم كل حالة جديدة وتستجيب لجميع مطالب الحياة.

ويمكنني أن أستخلص من خلال البحث النتائج الآتية:

١- كانت محنة القضاء في عهد المعتصم ترجع إلى أسباب دينية منها مسألة خلق القرآن، وأسباب سياسية منها موقف المعتصم من الأفشين، وبابك الخرمي (٢٠١-٢٢٢هـ / ٨١٦ - ٨٣٦م) مما جعل الحياة السياسية والدينية في قلق دائم، وبالتالي أثرت على خطة القضاء وعدم الإشراف التام على القضاء، ومرجع ذلك لخطورتها حسبما ورد في تعاليم الشريعة الإسلامية، حتى عن بعضهم قبلها تحت التهديد بالسيف.

٢- كان لقاضي القضاة في عهد المعتصم أحمد بن دؤاد (١٦٠-٢٤٠هـ / ٧٧٧-٨٥٤م) دوراً مهماً في محنة القضاء في عهده، وذلك أن الرجل كانت له مواقف تصلب في التمسك بها، فقد أيد المعتزلة في رأيهم بمسألة خلق القرآن، ووقف بذلك موقف العداء من الإمام أحمد بن حنبل .

أطلق الخليفة المعتصم بالله العباسي اليد العليا في الأحكام القضائية لقاضي القضاة أحمد بن داؤد في قضية الإمام أحمد بن حنبل مما أدى إلى حبسه ثمانية وعشرين شهراً، وضربه ثلاثة وثمانين سوطاً، وبقي في السجن إلى أن مات المعتصم،ثم أخرجه المتوكل العباسي، وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- القرآن الكريم:

-ابن الأثير الجزرى: أبـو الحسن على بن أبى الكرم محمـد بن عبـد الكريم الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

"الكامل في التاريخ"، عشرة أجزاء، راجعه وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

-الإصطخرى:أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخرى المعروف بالكرخى:

(المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

" المسالك والممالك" تحقيق د. محمد جابرعبد العال الحينى، راجعه محمد شفيق غربال، قدم هذة الطبعة د. عبد العال عبد المنعم الشامى، الهيئة العامة لقصور الثقافة من سلسلة الزخائر(١١٩) ، القاهرة٢٠٠٤م

- البغـدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمى(ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

" الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم" ، القاهرة ١٩٢٤م.

- البلاذرى: الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م):

"فتوح البلدان" تحقيق وشرح وتعليق على الحواشي وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، (بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

-ابن تغرى بردى الأتابكى، جمال الدين بن يوسف أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٣٠م.

-ابن الجوزى: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" عدة أجزاء، حيدر آباد، الدكن ١٣٥٧هـ.

-ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

"الإحكام في أصول الأحكام"، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة ١٣٤٥هـ.

- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي البغدادي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٢م):

"صورة الأرض"، القسم الأول، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

"المقدمة"، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القاهرة، بدون تاريخ.

-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر الشافعي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، سبعة مجلدات، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

-الدينورى، أبو حنيفة أحمد بن دؤاد (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):

"الأخبار الطوال"، تحقيق جرجاس، ليدن، ١٨٨٨م. وأيضاً نسخة أخرى تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ، ١٩٦٩م.

- ابن الرقيق (إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م):

"تاريخ أفريقية والمغرب"، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ١٩٦٧م.

- السبكي ، تاج الدين بن عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م):

"معيد النعم ومبيد النقم"، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٥م.

- السراج (أبو عبد الله محمد):

"الحُلل السندسية في الأخبار التونسية"، الجزء الأول، القسم الأول، تونس ١٩٧٠م.

- السيوطي ، جمال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

"تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة"، تحقيق طه عبد الرءوف سعد وياسر صلاح عزب، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

- الشيرازي، أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م):

"طبقات الفقهاء"، بغداد، المكتبة العربية، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م):

"المِلل والنِحل"، ثلاثة أجزاء في مجلد واحد ، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر، القاهرة، بدون تاريخ.

-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)،

"تاريخ الرسل والملوك"، الأجزاء ٧، و٨، ٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٧م.

-ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م):

"تاريخ بغداد"، الجزء السادس، طبعة ٥، كيلر H. Keller ليبزج، ١٩٠٨م وأيضاً

طبعة أخرى في القاهرة، ١٩٤٩م.

- *ابن العبري: غريغروس المالطي (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م) :*

" تاريخ مختصر الدول"نشر دار الآفاق العربية،القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

- *عياض (القاضي عياذ بن موسى عياض الستبي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م):*

"ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، الجزء الرابع والخامس، الرباط.

- *ابن فرحون (برهان الدين علي بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):*

"الديباج المذهب في أعيان المذهب"، القاهرة ١٣٢٣هـ.

- *ابن الفقيه الهمذاني: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م):*

"كتاب البلدان"، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، (بيروت بدون تاريخ).

- *أبو الفداء، الملك إسماعيل بن عماد الدين على صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):*

"المختصر في أخبار البشر"، الجزء الثاني، القسطنطينية، ١٢٨٦هـ.

- *القاضي عبد الجبار:*

"المغني في أبواب التوحيد والعدل"، الجزء السابع، تحقيق د. إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

-*ابن الكازرونى ، ظهر الدين على بن محمد البغدادي (٦٦٧هـ/١٢٦٨م):*

"مختصر الدول من أول الزمان إلى منتهى دولة بنى العباس"، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، نشر المؤسسة العامة للصحافة والنشر بالعراق، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

-*الكتبى، محمد شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):*

"فوات الوفيات"، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ، ١٩٧٤م.

-*ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):*

"البداية والنهاية"، المجلد العاشر، منشورات مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٦م.

- *الكندي المصري ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م):*

"الولاة والقضاة"، تهذيب وتصحيح روفن جست Rhurin Guest مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

-*الماوردي: أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري(ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):*

" الأحكام السلطانية والولايات الدينية"،المكتبة التوفيقية، القاهرة ١٩٧٨م .

-المالقي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النيباهي:

" تاريخ قضاة الأندلس الطبعة الخامسة،دار الآفاق، بيروت ١٩٨٣م.

- المالكي (أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله (توفي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري):

"رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقيا"، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

-المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

"التنبيه والإشراف"، القاهرة، ١٩٣٨م، وطبعه أخرى تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوى، طبعة المكتبة العصرية، بغداد ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

"مروج الذهب ومعادن الجوهر"، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧٣م.

- المقدسي أبوعبدالله محمد بن محمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م):

"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، جزءان، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٠٩م.

-المقريزى ، تقى الدين أحمد بن عل بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

"المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"، المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني ، القاهرة، ١٢٧٠هـ . وأيضاً نسخه أخرى، طبعة القاهرة، ١١٢٦هـ.

- ابن منظور (جمال الدين الأنصاري):

"لسان العرب"، الجزء الرابع، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- ابن النديم، محمد بن إسحاق الكاتب (ت٣٨٣هـ/٩٩٣م):

"الفهرست"،محققه محمد أحمد محمد أحمد،المكتبة التوفيقية ،القاهرة ، بدون تاريخ.

- ياقوت الحموى ، أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

"معجم الأدباء"، خمسة مجلدات، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

"معجم البلدان"، أربعة مجلدات،(ثمانية أجزاء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

-اليعقوبي ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح الكاتب (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م):

"تاريخ اليعقوبي"، الجزء الثالث، طبعة النجف الأشرف، العراق، ١٩٣٩م. وطبعة أخرى، الجزء الثاني، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

"مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر"، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، نشر عالم الكتب، القاهرة.

ثانياً: المراجـــع العربيـــة:

- *ابراهيم أيوب (دكتور):*

"التاريخ العباسي: السياسي والحضاري"، نشر الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٨٩م.

- *ابراهيم سليمان الكروي (دكتور):*

"طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول"، الطبعة الثانية، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة ١٩٨٩م.

- *ابراهيم محمد رشاد (دكتور):*

"علم الكلام مقدمات ومُشكلات"، القاهرة ٢٠٠٦م.

- *بارتولد (فاسيلى فيلادوميروفتش):*

"تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي"، نقله عن الروسية إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م.

- *جرجي زيـــدان (دكتور):*

"تاريخ التمدن الإسلامي"، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٥٨م.

- *حسن ابراهيم حسن (دكتور):*

"تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي"، الجزء الثاني، العصر العباسي الأول، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦م.

- *خير الدين الزركلي:*

"الأعـلام قامـوس تـراجم لأشـهر الـرجال والنـساء مـن العـرب والمـستعربين والمستشرقين"- ثمانية أجزاء، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م.

- *سيد أمير علي (دكتور):*

"مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي"، ترجمة رياض رأفت ، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- *سيدة إسماعيل كاشف (دكتورة):*

"مصر في فجر الإسلام"، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة

١٩٩٩م.

- *شاكر مصطفى (دكتور):*

"دولة بني العباس"، الكويت ١٩٧٣م.

- *عطية مصطفى مشرفة (دكتور):*

"القضاء في الإسلام"، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٣٩م.

- *علي حسن الخربوطلي(دكتور):*

"الحضارة الإسلامية"، دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ).

- *فاضل الخالدي (دكتور):*

"الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري"، درا الأديب، بغداد ١٩٦٩م.

- *فاطمة مصطفى عامر (دكتورة):*

"تاريخ أهل الذمة في مصر (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)"، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

- *كي لسترنج (دكتور):*

"بلدان الخلافة الشرقية"، يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيه الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الرابطة، (بغداد ١٩٥٤م).

- *محمد أبوزهرة (دكتور):*

"أحمد بن حنبل حياتـه وعصره – آراؤه وفقهـــه"، دار الفكر العربي ، القاهرة (بدون تاريخ).

تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.

- *محمد الخضري (دكتور):*

الدولة العباسية، المكتبة التوفيقية، القاهرة،(بدون تاريخ).

- *مصطفى الشكعة (دكتور):*

"معالم الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م.

- *وهبة الزحيلي (دكتور):*

"الفقه الإسلامي وأدلته"، الجزء الثامن، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

ثالثاً : المعاجم ودوائر المعارف:

- المعجم الوسيط:

نشر مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، جزءان طبع بمطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- رينهارت دوزي:

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمه د. أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧١م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

- The Encyclopedia of Islam, V.2, Art. Kibt.Leyden, Lodon,1927.